

الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم بين التآلف والعدول
The phonetic excellence in the Noble Qur'an
between harmony and displacement

د. العبادي عبد الحق*

تاريخ القبول: 18-11-2021

تاريخ الاستلام: 19-09-2021

ملخص: إنّ أوجه إعجاز القرآن الكريم كثيرة، فكلّام الله معجز ببلاغته، وبيانه ومعجز بأخباره الغيبية، وتشريعاته، وعلومه، وغيرها من الوجوه، ولعلّ من أهمّها وأعظمها هو الإعجاز البياني (البلاغي) لأنّه يستغرق القرآن الكريم كلّ من أوّله لآخره، بينما الوجوه الأخرى مبنوثة، ومفرقة في ثناياه، ولعلّ ما يوازي هذا النّوع من الإعجاز في استغراقه لكلّ القرآن الكريم إعجازه الصّوتي؛ أي: تآلف الأصوات النّاتجة عن الحروف التي في الكلمات، وتآلف الكلمات في الجمل مع بعضها البعض، على نحو فريد لا نجده على هذا النّسق في كلام النّاس منثور، أو مسجوع، أو منظوم، ويقابل هذا التّآلف في الأصوات ظاهرة الانحراف، وبخاصّة على المستوى الصّوتي ولعلها ظاهرة تكررت في القرآن الكريم، وجاءت في كثير من آياته، وهي ظاهرة خروج بعض آياته عن سياقها العام خروجاً غير متوقع، يلفت إليه الانتباه، ويثير في النّفس تساؤلاً عن سرّ هذا الخروج الفجائي وما يراد به، ويدعو إلى التدبر، والتأمّل وإمعان النّظر لاستكناه حقيقته، والوقوف على دلّالته، وهذا الخروج هو ما نصطلح عليه "بالعدول".

كلمات مفتاحية: العدول؛ التّآلف؛ الإعجاز؛ الخطاب القرآني؛ التّناسق؛ العدول الصّوتي.

Abstract: The miracles of the Holy Qur'an are many. God's words are miraculous in their eloquence and clarification. Perhaps one of the most important and greatest is the rhetorical miracle because it takes the entire Qur'an from beginning to end. This harmony in the sounds corresponds to the

* - جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر.

البريد الإلكتروني: amineora31@live.fr (المؤلف المرسل).

phenomenon of deviation, especially at the vocal level, which is the phenomenon of some of its verses deviating from their general context, an unexpected departure, which draws attention to it, and calls for reflection, meditation, and standing on its significance, and this departure is what we term "displacement".

Keywords: displacement; harmony; miraculousness; Quranic discourse; consistency; vocal regression.

1. مقدمة: إن أوجه إعجاز القرآن الكريم كثيرة، ومتنوعة، فكلام الله معجز ببلاغته، وبيانه، ومعجز بأخباره الغيبية، وتشريعاته، وعلومه، وغيرها من الوجوه التي أوصلها بعضهم إلى نيف وثلاثين وجهًا، وأعظم هذه الوجوه، وأهمها هو الإعجاز البياني (البلاغي) لأنه يستغرق القرآن الكريم كله من أوله لآخره، بينما الوجوه الأخرى مبثوثة، ومفرقة في ثناياه.

ولعل ما يوازي هذا النوع من الإعجاز -أي: البياني - في استغراقه لكل القرآن الكريم إعجازه الصوتي؛ أي: تألف الأصوات الناتجة عن الحروف التي في الكلمات وتألف الكلمات في الجمل مع بعضها البعض، على نحو فريد لا نجده على هذا النسق في كلام الناس منثور، أو مسجوع، أو منظوم.

ويقابل هذا التألف في الأصوات ظاهرة الانحراف، أو الخروج على النص وبخاصة على المستوى الصوتي، ولعلها ظاهرة تكررت في القرآن الكريم، وجاءت في كثير من آياته، وهي ظاهرة خروج بعض آياته عن سياقها العام خروجًا غير متوقع يلفت إليه الانتباه، ويثير في النفس تساؤلًا عن سرّ هذا الخروج الفجائي وما يراد به ويدعو إلى التدبر، والتأمل، وإمعان النظر لاستكناه حقيقته، والوقوف على دلالاته وهذا الخروج هو ما نصلح عليه "بالعدول".

من خلال هذا الكلام إلى أي حدّ يشكّل التألف بين الأصوات، والعدول من صوت إلى آخر مظهرًا من مظاهر إعجاز الخطاب القرآني؟

وللإجابة عن هذا الإشكال حتمت طبيعة المضمون، والموضوع انتهاز المنهج الوصفي التحليلي القائم على وصف الظاهرة اللغوية، وتحليلها.

2. الظاهرة الجمالية للقرآن الكريم: ممّا لا شكّ أنّ الظاهرة الجمالية في القرآن أرفع، وأجلّ من أن يختلف فيها اثنان، «فالظاهرة القرآنية ربانيّة المصدر تتوّج (الإعجاز البياني) الذي تحدّى العرب بياناً، وتحدى النَّاسَ شريعة، ونظاماً، وهي تتحدّى الجمالين في روائعه، وجمالياته، وجلالياته، ودراسة الجمالية في القرآن ذات جوانب متشابكة:

- فهي منطلق، ووجود حضاري لأقدس، وأعظم سجلّ حضاري في الوجود؛
- وهي اتجاه أدبي، وفي رائد يغني الموضوعات الكونية، والإلهية بأبهى الصّور الأدبية، والفنية الرائع؛

- وهي منعى تربوي يلي حاجات الإنسان الجمالية، ويصبغه بالشخصية المسلمة على نمط جامع، وفريد متميز¹؛ إذ كان، ولا يزال القرآن الكريم يُمثل منطلقاً، وهدفاً أساسياً لعدد من مباحث العلم، ولعلّ مبحثي الدلالة والصّوت، من أكثر المباحث استلهاماً من القرآن الكريم، إذ يستمدّان منه مادّة بحثهما، بُغية الوقوف على أسرار معانيه، وذلك منذ باكورة نشأتهما، وحتى اكتمالهما علمين شاخصين، لكلّ قواعده وأصوله.

ومن نافلة القول الحديث عن أهميّة كلّ منهما، ومدى ارتباط أحدهما بالآخر، فإذا كانت مادّة الدلالة اللسانية هي الصّوت اللغوي، فإنّ الصّوت اللغوي ينطلق أساساً من دلالته على المعاني التي انثدب لبيانها، والتعبير عنها، وتصويرها، فالدلالة اللغوية منطلق صوتي، والصّوت اللغوي منطلق دلالي.

فأصغر وحدة صوتية في القرآن الكريم يمكنها أن تمثّل مادّة بحثية لها قيمتها الدلالية، فكلّ صوت في القرآن الكريم وُضع موضعه الذي لا يصلح غيره ليحلّ محله، فإذا وقِفَ على سرّه انكشف بعض ممّا فيه، وحَفِيَ ما هو أعظم.

لقد شغل بيان القرآن العرب منذ اللحظات الأولى لنزوله، فغدا شغلهم الشّاغل سواء من آمن به، أو من لم يؤمن، فقد طلّع عليهم القرآن الكريم فرأوا في أسلوبه ذات ألفاظهم، وقد تساوقت فيما ألفوه من طُرُق الخطاب، وألوان المنطق، دون عنّت، أو تصنّع، غير أنّه «ورد عليهم من طُرُق نظمِهِ، ووجوه تركيبِهِ، ونَسَقِ حروفِهِ في كلماتها، وكلماته في جُمَلها، ونَسَقِ هذه الجمل في جملته ما أذهلهم عن أنفسهم، من هيبة رائعة، وروعة مخوفة، وخوفٍ تقشعرُّ منه الجلود، حتى أحسّوا بضعف الفطرة القويّة،

وتخلف الملكة المستحكمة، ورأى بلغاؤهم أنه جنس من الكلام غير ما هم فيه وأن هذا التركيب هو روح الفطرة اللغوية فيهم، وأنه لا سبيل إلى صرفه عن نفس أحد العرب، أو اعتراض مساعه إلى هذه النفس، إذ هو وجه الكمال اللغوي الذي عرف أرواحهم، واطلع على قلوبهم، بل هو السر الذي يفشي نفسه، وإن كتموه، ويظهر على سنتهم، ويتبين في وجوههم، وينتهي إلى حيث ينتهي الشعور، والحس².

وهذه اللغة القرآنية الساحرة التي أذهلت الناس عن أنفسهم، واقتشعرت لها أبدانهم فخرؤا لها خاشعين هي التي دعت إلى بسط القول في فنون فصاحة القرآن، ونظمه ووجوه تأليف الكلام فيه، فانبرى علماء المسلمين للتأليف في وجوه إعجازه، وقد كان لنظم القرآن، وما يمكن أن يكون مرجعه الصوت من وجوه البلاغة المحل الأرفع من بين وجوه الإعجاز الأخرى.

لقد كانت موضوعات الآيات، والسور القلائل الأولى التي انبهر بها العرب أول الأمر خالية تمامًا من أي تشريع، أو إخبار عن غيب يتحقق بعد أعوام، أو علوم كونية في خلق الكون، والإنسان، لكي تسترعي إحساسهم، وتستحق منهم كل هذا الإعجاب. فلا بد إذن أن يكون في تلك السور القلائل عنصر آخر هو الذي سحر المستمعين، وأخذ عليهم قلوبهم، وعقولهم.

وقد ثبت أن ممن لا يفهم القرآن، ولا يعلم تفاسيره قد تأثر به، وهو يستمع إليه لأول مرة، كما روي عن نصراني أنه مر بقارئ فوقف يبكي، ف قيل له مم بكيت؟ قال: «للشجاعة، والنظم»³.

فأين يكمن هذا الجمال، وما هو مصدره، وكيف استحوذ القرآن على العرب هذا الاستحواذ؟ وكيف اجتمع على الإقرار بجماله، وبلاغته، المؤمنون، والكافرون⁴ على حد سواء؟

لعل الإجابة عن هذه التساؤلات تكمن في الجمالية الصوتية للقرآن الكريم من خلال تألف الأصوات، وجمالية العدول فيها، ولعل هذه ميزة في القرآن الكريم تقترن بإعجازه عن سائر الخطابات الأخرى.

3. الطبيعة الصوتية للقرآن الكريم: من المتعارف أن القرآن الكريم لم ينزل على النبي "صلى الله عليه وسلم" مدونًا في كتاب مسطور، ولا مسطورًا في ألواح وإنما نزل

نزولاً صوتياً، حملة جبريل "عليه السلام" سماعاً، ثم نزل به على رسول الله "صلى الله عليه وسلم" فتلاه عليه، وأداه إليه أداءً صوتياً قراءة، وتلقاه منه النبي "صلى الله عليه وسلم" تلقياً مسموعاً، ثم تلاه النبي "صلى الله عليه وسلم" بدوره على الناس تلاوة صوتية يبلغهم به عن طريق هذه التلاوة فتلقوه منه بأسماعهم وحفظوه في صدورهم، ومنهم كتبة الوحي الذين كتبوه، ودونوه.

وهناك بعض من أوجه هذه الحكمة الإلهية البالغة من تنزيل القرآن الكريم تنزيلاً صوتياً، وأمره سبحانه وتعالى لرسوله الكريم "صلى الله عليه وسلم" بتبليغه للناس عن طريق التلاوة الصوتية، إنَّ هذه الأوجه تتعلق بالمعجزة القرآنية نفسها، وذلك لأنَّ صياغة القرآن الكريم لها أبعاد متعددة تتناظر فيما بينها، ويعلو الجمع بينها في نظام واحد متسق خال من التناقض، أو الاضطراب.

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أنزل القرآن الكريم باللغة العربية لفظاً، ومعنى فإنَّه تعالى أراد لتوصيل رسالته إلى النَّاس أرقى وسيلة اتصال عرفتها البشرية، وهي أهم وأقوى ما يتميز به عن سائر أعضاء المملكة الحيوانية؛ ألا وهي اللغة، كما أنَّه "جل جلاله" قد اختار من مظاهر اللغة، ومكوناتها أهم، وأقوى ما يحقق الغرض المطلوب من دقة، وضبط، وإتقان من حيث توصيل ألفاظ القرآن الكريم، ومعانيه، وتبليغها وإفهامها. "ألا وهو الصوت المباشر".

ذلك لأنَّ الأداء الصوتي الصحيح الدقيق هو الوسيلة الوحيدة المثلث التي تضمن تماماً توصيل الفكر بمنتهى الدقة، والضبط، والإحكام، والسبب في ذلك أنَّ اللغة أصلاً ظاهرة صوتية، وإذا كانت هناك بعض صور الاتصال التي تتم بين أفراد المجتمعات البشرية بطرق أخرى شتى تستخدم فيها كل الحواس البشرية من لمس، أو ذوق، أو شم، أو سمع، أو إذا كانت بعض هذه الطرُق غنية، كالتعبيرات، والإشارات الجسمية مثلاً، إلا أنَّ الصوت المنطوق يعد وسيلة الاتصال المثلث، وما هذه الطرُق جميعها إلا مجرد بدائل ثانوية له.

إذن فالصوت اللغوي هو اللبنة الأولى، والأساسية في بناء أي لغة، لذلك يرتبط الفكر ذاته بالصوت اللغوي على نحو أساسي خاص، لأنَّه هو الذي يخرج من السكون

أو الخمود إلى الحياة والحركة، ويمنحه كياناً، وقيمة، وقدرة على التأثير والتفاعل يقول "أبو الفتح الشهرستاني": «النفس الناطقة هي الإنسان من حيث الحقيقة»⁵.

لهذه المكانة الأولية الأساسية التي يحتلها الصوت في البناء اللغوي، وأهميته العظيمة التي لا تدانها أهمية أي لبنة أخرى في هذا البناء نزل القرآن الكريم نزولاً صوتياً متلوّاً؛ أي: على أصل الظاهرة اللغوية، فالصوت اللغوي هو النظام المعياري الأول، والأساسي في اللغة.

لقد ضمن النزول الصوتي للقرآن الكريم صونه، وحمايته من التبديل، والتحريف كما ضمن تبليغه الصوتي المتواتر منذ اللحظة الأولى للنزول تخليده إلى الأبد على نفس هيئة تنزيله يوم أنزل من لدن الله، وبذلك كان للقرآن الكريم أثره العميق في نفس كل من يستمع له، لأنه فعلاً كلام الله تعالى حقاً، وصدقاً الذي لم يتطرق إليه أي عبث، ولم تشبهه أية شائبة، ولذا فإن له قوة جبارة مستمدة من قوة كلام الله العلي القهار.

4. الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم: بحث القدماء، والمحدثون على اختلاف مشاربهم، وعلومهم في موضوع الإعجاز القرآني، وتركوا الباب مفتوحاً على مصراعيه لأخلافهم في العصور التالية، فتوسّل كلُّ أهل زمان بما ظهر من علوم وفنون في زمانهم مستعنيين بها لالتقاط دُررٍ من هذا البحر الزخار، وراح كلُّ يدلي بدلوّه، ويحوز من هذا التبع الالهي ما استطاع إلى حوزته، فبرزت وجوهٌ من الإعجاز عديدة، ينبغي الوقوف عندها، والتّنبؤ بها.

ولعلّ من أبرز هؤلاء "أبو الحسن الرّماني" إذ عدّ من وجوه الإعجاز سبعة، جاعلاً البلاغة على رأس هذه الوجوه فابتدأ بها كتابه "التّكت في إعجاز القرآن"، وقد حصّر البلاغة في ثلاث طبقات: «منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة، وأدنى طبقة، فما كان في أعلاها طبقة فهو مُعجَزٌ، وهو بلاغة القرآن»⁶.

ثم حصّر وجوه البلاغة في عشرة أقسام هي: "الإيجاز"، و"التّشبيه"، و"الاستعارة" و"التّلاؤم"، و"الفواصل"، و"التّجانس"، و"التّصريف"، و"التّضمن"، و"المبالغة"، و"حسن البيان".

ولعلّ بعض هذه الأقسام العشرة ما يرتبط بالصّوت كالتّلاؤم، والفواصل والتّجانس والتّلاؤم أهمّها جميعاً لأنّها الصّق بمباحث الصّوت، و"الرّماني" يرى أنّ التّحدّي بالتّلاؤم يعمّ جميع النّاس، لا فرق في ذلك بين عربيّ، وأعجميّ، وذلك أنّ الله تعالى قال: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء، 88]، وقال أيضاً: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطّور، 34]، « ولما تعلّوا بالعلم، والمعاني التي فيه قال: ﴿فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾ [هود، 13]. فقد قامت الحجّة على العربي، والعجمي بعجز الجميع عن المعارضة؛ إذ بذلك تبين المعجزة»⁷.

أمّا "الباقلائي" فلقد سار على خطّى "الرّماني" عند وقوفه على الوجه البلاغي للإعجاز، ومن أهم ما وقف عنده بخصوص الإعجاز الصّوتي في القرآن فهو التّفاتته الرائعة إلى فواتح السّور من الحروف المقطّعة التي افتتحت بها ستّ وعشرون سورة مكّيّة، وثلاث سور مدنيّة، وما قدّمه من تصنيف صوتيّ لهذه الحروف، يقول "الباقلائي": «إنّ الحروف التي بُني عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفاً، وعدد السّور التي افتتحت فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة، وجملّة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السّور من حروف المعجم نصف الجملة، وهو أربعة عشر حرفاً ليدلّ بالمذكور على غيره، وليعرفوا أنّ هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم، والذي ينقسم إليه هذه الحروف: على ما قسّمه أهل العربيّة، وبنوا عليها وجوهها: أقسامٌ نحن ذكروها: فمن ذلك أنّهم قسّموها إلى: حروف مهموسة، وأخرى مجهورة، فالمهموسة منها عشرة، وهي: الحاء، والهاء، والخاء، والكاف، والشّين والنّاء والفاء، والتّاء، والصّاد، والسّين: وما سوى ذلك من الحروف فهي مجهورة، وقد عرفنا أنّ نصف الحروف المهموسة المذكورة في جملة الحروف المذكورة في أوائل السّور وكذلك نصف الحروف المجهورة على السّواء لا زيادة، ولا نقصان»⁸.

ثمّ يُضيف أنّ ما ورّد في هذه الحروف المقطّعة هو نصف الحروف الحلقية ونصف الحروف الشّديدة، ونصف الحروف المطبقة⁹.

أمّا المعاصرون فتناولوا الإعجاز الصّوتي للقرآن ضمن إطار الإعجاز البياني شأنهم في ذلك شأن الباحثين القدامى، ولعلّ من بين أهم الدّراسات المحكّمة التي مرّجت بين

الجانب البياني، والجانب الفني فأبرزت ملامح من عنصرَي الصّوت والإيقاع في القرآن دراسة "مصطفى صادق الرافعي"، و"سيد قطب".

إذ ينطلق "الرافعي" في دراسة النّظم من أصغر وحدة في الكلام، وهي الصّوت الذي يُحدِثه الحرف، ويجعل هذه الوحدة أساساً لحدوث النّغم، فأصوات الحروف «إنّما تنزل منزلة الثّبرات الموسيقيّة المرسلّة في جملتها كيف اتّفقت، فلا بدّ لها مع ذلك من نوع في التّركيب، وجهة من التّأليف حتى يُمازج بعضها بعضاً، ويتألّف منها شيء مع شيء، فتتداخل خواصّها، وتجتمع صفاتُها، ويكون منها اللّحن الموسيقيّ، ولا يكون إلّا من التّرتيب الصّوتي الذي يُثير بعضه بعضاً على نِسب معلومة ترجع إلى درجات الصّوت، ومخارجه، وأبعاده»¹⁰.

ويمزج "الرافعي" بين الدّلالة الصّوتيّة للحرف القرآني، وبين دلالتّه التّفسيّة البعيدة باعتبار أنّ مادّة الصّوت تُمثّل مظهر الانفعال التّفسي، فالأصوات التي تأتلف في الجملة مقصودة لذاتها، لأنّه «إنّما يكون الكلام سامياً إذا جاءت مادّة صوته مُكيّفةً بشكلٍ موسيقيّ دالّ»¹¹، وذلك على عكس طريقة العرب في ترسلهم، وسرعتهم في القراءة في منطقهم كيفما اتّفق لهم.

أمّا "السيد قطب" فيعتبر من أكثر الباحثين المعاصرين اهتماماً بالجانب الصّوتي والإيقاعي في القرآن الكريم، ويمكن ملاحظة ذلك في كتبه العديدة التي كان القرآن محوراً أساسيّ، وكان للصّوت، والإيقاع فيها جميعاً نصيبٌ وافٍ، وسهْمٌ وافر.

لقد شَغِفَ "السيد قطب" بالقرآن الكريم، لأنّه وَجَدَ فيه «سراً خاصاً، يشعر به كلّ من يواجه نصوصه ابتداءً، قبل أن يشعر أنّ هنالك شيئاً ما، وراء المعاني التي يُدرِكها العقل من التّعبير، وأنّ هنالك عنصراً ما، يَنسكب في الحسّ بِمجرّد الاستماع لهذا القرآن، هذا العنصر يصعب تحديد مصدره: أهو في العبارة ذاتها؟، أم هو المعنى الكامن فيها؟، أم هو الصّور، والظلال التي تشعّها؟، أم هو الإيقاع القرآني الخاصّ، المتميّز من إيقاع سائر القول المصوغ من اللغة؟، أم هي هذه كلّها مجتمعة؟، أم إنّها هي، وشيء غيرها غير محدود؟؛ ذلك سرٌّ مودّع في كلّ نصّ قرآنيّ، يشعر به كلّ من يواجه نصوص هذا القرآن ابتداءً... ثمّ يأتي وراءه الأسرار المدركة بالتدبُّر، والنّظر، والتّفكير في بناء القرآن كلّّه»¹².

ولكنّه بعد بحثه الطويل في تحليل البيان القرآني، وأسرار إعجازه خلص إلى الاحتمال الأخير، فعَدَّ خمسةً عناصر أساسيّة للبيان القرآني المعجز تستمد منها العبارة القرآنيّة بشكل خاصّ دلالتّها، وهذه العناصر الخمسة يدور جُلّها حول محوري الصّوت، والإيقاع، وهي:

- مفردات الدلالات اللغويّة للألفاظ؛

- الدلالة المعنويّة: الناشئة عن اجتماع الألفاظ، وترتيبها في نسق معيّن؛

- الإيقاع الموسيقيّ: الناشئ من مجموعة إيقاعات الألفاظ، متناغمًا بعضها مع بعض؛

- الصّور، والظلال: التي تشعّها الألفاظ متناسقةً في العبارة؛

- الأسلوب: أو طريقة تناول الموضوع، والسّير فيه؛ أي: التّسيق الذي يسمح لكلّ لفظٍ بأن يشعّ شُحنته من الصّور، ومن الإيقاع، والذي يُؤلف إيقاعًا متناسقًا بين الألفاظ، وظلالًا متناسقةً من ظلال الألفاظ¹³.

5. تألف صوت الكلمة القرآنيّة: الكلمة لغةً: «هي اللفظة المؤلفة من جماعة حروفٍ ذات معنى»¹⁴، وبما أن لكلّ حرف صوته الخاص، إذن يمكن أن نقول إنّ الكلمة: هي لفظة مؤلفة من مجموعة أصوات ذات معنى، ومجموعة الأصوات التي تتألف منها الكلمة، إمّا أن تكون نغمة عذبة على السّمع، وإمّا أن تكون نغمة منكّرة سيئة الوقع على الأذان، وهذا راجع إلى بعض العوامل التي تؤثر في سهولة النطق بالكلمة، وعذوبتها، وهذه العوامل هي تلاؤم مخارج حروف الكلمة، وعدد حروف الكلمة، وتناسق حركات الحروف، وملاءمة اللفظة لنوع الكلام، وألفة استعمال اللفظة.

وفيما يلي بيان لأثر كلّ من الأمور السّابقة في تألف الأصوات النّاتجة عن الكلمة، وكيف أنّ القرآن الكريم كانت كلماته كلّها من النّوع المتألف، وأنّه خلا من الكلمات المضطربة المتنافرة، فحقّق بذلك أساسًا من أسس تألف الكلام بأعلى درجاته إلى حدّ وصل درجة الإعجاز.

أولاً: تلاؤم مخارج حروف الكلمة: إنّ لتلاؤم مخارج حروف الكلمة الواحدة أثرًا كبيرًا، في جعل النطق بالكلمة يسيرًا على اللسان، عذب الوقع على الأذان، والمقصود

بالتلاؤم يتضح من خلال معرفة علاقة حروف الكلمة الواحدة ببعضها، من حيث مخارجها، والتي تنقسم إلى نوعين:

النوع الأول: أن تتباعد مخارج الحروف. قد يبدو أن تباعد مخارج حروف الكلمة الواحدة يؤدي إلى التنافر، وصعوبة النطق بالكلمة، وهو ما ذهب إليه "الرّماني" عندما قال: «التلاؤم تعديل الحروف في التّأليف»¹⁵، وقصد بتعديل الحروف أن لا تكون مخارج حروف الألفاظ شديدة البعد أو شديدة القرب، وليس الأمر كذلك، فإنّ تباعد مخارج الحروف ليس وحده السّبب في التنافر، أو ثقل النطق بالكلمة، وإنّما يكون كذلك إذا ما اجتمع مع التّباعد صفة أخرى، هي عدم ترتيب المخارج المتباعدة، فقد نبّه "الخفاجي" إلى ذلك، عندما ضرب مثلاً بكلمة من القرآن هي ﴿ألم﴾ [الفيل، 01] التي تباعدت مخارج حروفها، ولم تثقل على اللسان، وذلك أنّ مخارج هذه الحروف مرتبة من الدّاخل إلى الخارج¹⁶، فالهمزة تخرج من أقصى الحلق، واللام من أدنى حافتي اللسان، والميم من بين الشّفتين.

ويوضّح "الخفاجي" ذلك عندما يقول: «ليس يخفى على أحد من السّامعين أن تسميّة الغصن غصنًا، أو فننّا أحسن من تسميته عسلوجًا، مع ما لحروف هذه الكلمة من التّباعد... وللکلمات العذیب (اسم موضع) وعذیبة (اسم امرأة)، وعذّب، وعذاب وعذّب، وعذبات، ما لا يجده فيما يقارب هذه الألفاظ من التّأليف، وليس ذلك لبعد الحروف في المخارج فقط، ولكنّه تأليف مخصوص مع البعد، ولو قدمت (الدّال) أو (الباء) لم تجد الحسن على الصّفة الأولى، في تقديم (العين) على (الدّال)»¹⁷.

وقد بين علماء التّجويد أنّ تباعد الحروف من الأسباب التي تمنع الإدغام، وتجعل حكم النطق بالحرفين المتباعدين الإظهار وجوبًا عند القراء، كما في الهمزة مع اللام في قوله تعالى: ﴿تَأْمُنُونَ﴾ [النّساء، 104]، وكذلك في إظهار التّون السّاكنة، والتّنوين إذا ما وقع بعدها حرف من الحروف الحلقیّة، وهي: الهمزة، والهاء، والعين، والحاء والغين، والحاء، وعلة الإظهار هي التّباعد.

النوع الثاني: أن تتقارب في المخارج.

يعد تقارب مخارج حروف الكلمة من أسباب ثقل النطق بها، وغرابة إيقاعها، ومن ذلك استئثار كلمة الهعقع التي وردت في كلام الأعرابي عندما سأله عن ناقته فقال:

«تركتها ترعى الهُخُخُ»¹⁸، وهو نوع من الشجر- وسبب ثقلها أنّها تتألف من حروف حلقية، متقاربة جداً في الحلق، وهي الهاء، والعين، والحاء، ومنه كلمة "مستشزرات" أي: مفتولات إلى الأعلى في قول "امرؤ القيس"¹⁹:

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزَرَاتٌ إِلَى الْعُلَا تُضِلُّ الْمَدَارَى فِي مُثْنَى وَمَرْسِلٍ

فالتَّغْلُّ فيها ناجم عن تقارب السَّيْنِ، والشَّيْنِ، والتَّاء، والزَّاي، التي تقع كلّها في مقدمة الفم، إذن فهم يرون أنّ تقارب مخارج حروف الكلمة يؤدي إلى التَّنَافَرِ، وهو صعوبة النُّطْق بالكلمة، وثقلها على اللسان، وبالتالي سُوء وقعها على الأذان، لكنّ وقوع الحروف المتقاربة المخارج في الكلمة الواحدة قد يحصل، بل هو حاصل فعلاً في القرآن الكريم، ولذا كانت معالجته عن طريق أحكام التَّجْوِيدِ، وذلك بإدغام الحروف المتقاربة، أو قلمها، أو إخفاءها، وذلك بحسب مدى التَّقَارُبِ بينها، على النُّحُوِّ الآتي:

الأصل في النُّطْق بحروف الكلمة إظهارها، وذلك أنّ لكل حرف خصوصيته المستقلة، النَّاجِمة عن استقلاليّة مخرجه، وصفاته اللازمة له، إلّا أنّه قد يصعب الإتيان بهذه الصِّفَات في النُّطْق نظراً لمجاورته لحرف أخريقاربه في المخرج، ولذا تأخذ هذه الحروف صفات عارضة، تُسهِّل النُّطْق بالكلمة، وهذه الصِّفَات العارضة هي:

أ- الإدغام: والذي يعني "النُّطْق بالحرفين حرفاً واحداً كالثاني مشدداً"، وهو نوعان:
الأول: الإدغام الكبير: وهو "إدغام حرف متحرك في حرف متحرك آخر" كقوله تعالى: ﴿أَتَحَاجُّونِي﴾ [الأنعام، 80]، والتي أصلها (أتحاجونني)، وكقوله تعالى: ﴿مَا مَكَّنِّي﴾ [الكهف، 95] والتي أصلها (ما مكنني).

الثاني: الإدغام الصَّغِير: وهو "إدغام حرف ساكن في متحرك"؛ كما في قوله تعالى: ﴿يُذْرِكُكُمْ﴾ [النساء، 78]، ولهذا النوع من الإدغام أسباب هي:

- التَّمَاثُل: وهو اتحاد الحرفين في الاسم، والرَّسْم، وفي المخرج والصِّفَة، كما في المثال الأخير.

- التَّقَارُب: وهو أن يتقارب الحرفان في المخرج والصِّفَة، مثل: (النُّون) مع (اللام)، أو يتقاربان في المخرج فقط مثل: (الدَّال) مع (السَّيْن)، أو يتقاربان في الصِّفَة فقط مثل: (التَّاء) مع (النَّاء).

- التّجانس: وهو أن يتحد الحرفان في المخرج، ويختلفان في الصّفة، شأن (التّاء) مع (الدّال).

وكل هذه أسباب تؤدي إلى صعوبة النّطق بالحرف الأوّل بكامل صفاته، فأكسب صفة عارضة بالإدغام، فسّهلت علميّة النّطق، ولمّا كان الإدغام يقع في الكلمة الواحدة، والكلمتين المتجاورتين، والموضوع هنا الكلمة المفردة، ومن الأمثلة على وقوع الإدغام في الكلمة الواحدة:

- إدغام لام التّعريف في الحروف الشّمسيّة المقاربة لها، وهي الحروف التي في أوائل كلمات البيت التّالي "للشيخ سليمان الجمزوري":

طَبَّ ثُمَّ صِلْ رُحْمًا تَفْزُضُفْ ذَا نِعَمٍ دَعُ سُوءَ ظَنٍّ زُرْ شَرِيفًا لِلْكَرَمِ

- إدغام القاف السّاكنة في الكاف المقاربة لها، في قوله: ﴿نَخْلُقُكُمْ﴾ [المرسلات، 20]:

- إدغام الطّاء السّاكنة في التّاء المجانسة لها في قوله تعالى: ﴿أَحَطُّ﴾ [النمل، 22]،

و﴿بَسَطْتُ﴾ [المائدة، 28]، و﴿فَرَطْتُ﴾ [الزّمر، 56]:

- إدغام الميم السّاكنة في الميم التي بعدها مع مراعاة الغنة كما في قوله تعالى:

﴿هَمَّتْ﴾ [آل عمران، 122]، وهو ما يعرف بالإدغام الشّفوي.

كل هذه الإدغامات في اللغة العربيّة كلها من أجل تيسير النّطق بالكلمة، والذي لولاه لثقلت الكلمة على اللسان، وعلى الأسماع، والعلة في ذلك «أنّ اعتماد آلة النّطق على موضع، وارتفاعها عنه، وعودها إليه ثم ارتفاعها عنه مستثقل، يشبه مثني المقيد، فجعل اللسان، أو غيره من المخارج ينبو عنهما نبوة، واحدة طلباً للخفّة، ولما في ذلك من السّهولة على اللفظ»²⁰.

ب- الإقلاب: وهو "تحويل النّون السّاكنة، أو التّنوين ميمًا، إذا وقع بعدها باء؛ كما في قوله تعالى: ﴿الْأَنْبِيَاءُ﴾ [آل عمران، 112]، وذلك أنّ مخرج النّون من طرف اللسان مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا، فإذا ما التّقت مع الباء التي تخرج من مخرج قريب لها، وهو الشّفتين، صعب النّطق بها، فأحيلت ميمًا لتشارك الباء في الخروج من بين الشّفتين، يقول "أبو عمرو الدّاني" في بيان علة الإقلاب: «من أجل مؤاخاة الميم للنّون في الغنة، ومشاركتها للباء في المخرج، فقلبت ميمًا من أجل ذلك»²¹.

ج- الإخفاء: وهو النطق بالحرف المخفي على حالة بين الإظهار، والإدغام مع مراعاة بقاء الغنة في المخفي؛ كما في قوله: ﴿يَنْصُرُكُمْ﴾ [محمّد، 07]، و﴿مُنذِرٌ﴾ [ص، 04]، و﴿مَنْثُورًا﴾ [الفرقان، 23]، وحروف الإخفاء خمسة عشر حرفًا، مجموعة في أوائل كلمات البيت الآتي "للشيخ سليمان الجمزوري":

صِفْ ذَا ثَنَا كَمْ جَادَ شَخْصٌ قَدْ سَمَا * دُمَ طَيِّبًا زِدْ فِي تُقَى ضَعْ ظَالِمًا
وهو حالة متوسطة بين الإظهار الذي يُنطق فيه بالحرفين كاملين، وبين الإدغام الذي يُدخل فيه الحرف الأول بالثاني، وما ذلك إلا لأنّ مخارجهما متوسطة في القرب والبعد بين حروف الإظهار، وحروف الإدغام.

وخلاصة القول في التلازم، أنّ الكلمة التي يسهل النطق بها، ويحسن صوتهما هي الكلمة المؤلفة من حروف مخارجها غير شديدة القرب، أو البعد، وإذا كانت متباعدة فيجب أن تكون هذه المخارج مرتبة ترتيبًا متواليًا يُسهّل النطق بها، أمّا إذا كانت متقاربة تدخلت أحكام التجويد فأعطت لأحد الحرفين صفة جديدة، أدّت إلى سهولة النطق بها، وجمال وقعها على الأذان.

ثانيًا: عدد الحروف: إنّ من أسباب ثقل الكلمة على اللسان، والأسماع كثرة حروفها، فقد رأى "الخفاجي" أنّ الكلمات الكثيرة الحروف سيئة الوقع على الأذان ومثل لذلك بقول "أبي تمام":

فلأذريجانَ اختيالٌ بعدما * كَانَتْ مُعْرَسَ عِبْرَةٍ وَنَكَالٍ
وقول "المتنبي":

إِنَّ الْكِرَامَ بِلَا كِرَامٍ مِنْهُمْ * مِثْلُ الْقُلُوبِ بِلَا سُوءِ إِدْوَانِهَا
فكلمتا (اذريجان) و(سويداواتها) قد قبحتا، وخرجتا من وجوه الفصاحة، لكثرة حروفهما²²، ولعلّ البعض يقول إنّ "الخفاجي" قد غاب عن باله أنّه قد وقع في القرآن الكريم كلمات كثيرة الحروف، كقوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمْ﴾ [البقرة، 137] وقوله: ﴿لَيْسَتْ خَلْفَهُمْ﴾ [النور، 55]، وقوله: ﴿أَنْلِزْكُمْوهَا﴾ [هود، 28] إلا أنّه لم يؤد إلى التنافر، والثقل في النطق، أو السّمع، لكن لا يتصور أنّ "الخفاجي" غاب عن باله ذلك، فهذه الكلمات معروفة في القرآن الكريم، وهي غير ثقيلة، لما لازمها من تناسب الحروف، بالإضافة إلى ملحظ آخر بيّنه "الرافعي" وهو أنّ هذه الكلمات وإن بدت من ناحية الرّسم

أنها كلمة واحدة طويلة، كثيرة الحروف، إلا أننا عندما نتلفظ بها نجدها مكونة من عدة مقاطع كل مقطع منها بمثابة كلمة، وفي ذلك يقول: «وقد وردت في القرآن ألفاظ هي أطول الكلام عدد حروف، ومقاطع، مما يكون مستثقلًا بطبيعة وضعه، أو تركيبه، ولكنها من أحضر الألفاظ حلاوة، وأعذبها منطقتًا، وأخفها تركيبًا إذ تراه قد هيا لها أسبابًا عجيبة، من تكرار الحروف، وتنوع الحركات، فلم يجرها في نظمه إلا وقد وُجد ذلك فيها، كقوله: ﴿لَيْسْتَ خَلْفَهُمْ﴾ [النور، 55] فهي كلمة واحدة من عشرة أحرف، وقد جاءت عذوبتها من تنوع مخارج الحروف، ومن نظم حركاتها، فإنها صارت في النطق كأنها أربع كلمات، إذ تنطق على أربعة مقاطع»²³ وقوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمْ﴾ [البقرة، 137] فإنها كلمة من تسعة أحرف، وهي ثلاثة مقاطع وقد تكررت فيها الياء والكاف، وتوسّط بين الكافين هذا المد الذي هو سرّ الفصاحة في الكلمة كلها»²⁴.

ويرى "الرافعي" أن الألفاظ المركبة في القرآن الكريم ترجع عند تجريدتها إلى أصولها الثلاثية، أو الرباعية، أما الكلمات ذات الجذور الخماسية فلم يرد في القرآن منها شيء، لأنها مما لا وجه للعذوبة فيه، إلا أنه يستثنى من ذلك الكلمات المعربة "كإبراهيم"، و"إسماعيل"، و"طالوت"، و"جالوت"، وهي كلمات لا تأتي إلا أن يتخلّلها المد؛ فتخرج الكلمة وكأنها كلمتان.

ثالثًا: تناسق حركات حروف الكلمة: لفت "الرافعي" النظر إلى أمر حركات ألفاظ القرآن، الصّرفيّة والإعرابيّة، وأثرها في النظام الصّوتي للقرآن الكريم، وذلك أنها تجري في الوضع، والتركيب مجرى الحروف نفسها، فيما هي له من أمر الفصاحة فيمهد بعضها لبعض، ويسانده، ولا نجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف، مجارية لها في النظام الصّوتي حتى إنّ الحركة ربما كانت ثقيلة في نفسها، لسبب من أسباب الثقل، فلا تعذب، ولا تستساغ، «فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأنًا عجيّبًا ورأيت أصوات الأحرف، والحركات التي قبلها قد مهّدت لها طريقًا في اللسان واكتنفتها بضروب من النغم الموسيقي، حتى إذا خرجت فيه كانت أعذب شيء وأرقه وجاءت متمكنة في موضعها، وكانت لهذا الموضع أولى الحركات بالخفة، والروعة»²⁵.

هذا في الغالب، لكن قد تتوالى في القرآن حروف ليس بين حركاتها تناسق، أو توافق، بل تكون العلاقة علاقة تناقض، وصعوبة، كأن يتوالى حرفان ساكنان، أو أن يتوالى

صوت لين، وهمز، أو سكون، وعلاج مثل هذه الحالات يكمن في أحكام التجويد، وفي أحكام المدود على وجه الخصوص فالمدود تسهل النطق بالكلمة فالأصل في حروف المدّ، وهي: الألف الساكنة بعد فتح، والواو الساكنة بعد ضمّ والياء الساكنة بعد كسر، والمجموعة في كلمة (نوحها)، أن تمدّ مدّاً طبيعياً، أو أصلياً مقدار حركتان، وصلاً ووقفاً، وهو المدّ الذي لا تقوم ذات الحرف إلّا به، أمّا بقيّة الحروف فلا تمدّ أصلاً، وهذا يجعلها مساوية للحركات في سرعة النطق بها فمقدار سرعة التلفظ بها أقل من حركتين لأنّ ما فوق الحركتين يعدّ مدّاً، وما كان أقل من ذلك هو الأصل، في تلفظ الحروف، لكنّ المدّ الأصلي قد يزداد فيه لوجود عسر في النطق بالكلمة على أصلها.

وقد يطرأ طارئ في تركيب الكلمة يجعل القارئ يمتدّ الصوت، ويمدّ حروف المدّ أكثر من الطبيعي، أو الأصل، وهذا الطارئ ينحصر في أمرين، هما: "الهزّة والسكون"، ويعمل "السيوطي" المدّ فيقول: «وجه المدّ لأجل الهمز: أنّ حرف المدّ خفيّ، والهمز صعب، فزيد في الخفي ليتمكن من النطق بالصعب، وجه المدّ للسكون: التمكن من الجمع بين الساكنين فكأنّه قام مقام الحركة»²⁶.

وفي هذا دلالة على أنّ المدّ من جنس الحركة، وأنّ المدّ يقوم مقام الحركات المتواليّة، لكنّها تظهر بمظهر المدّ، أو بعبارة أخرى الإبطاء في التلفظ بالحرف حتى يتبيّأ القارئ للنطق بما بعده، نظراً لصعوبة النطق بهما على أصلهما المتواليين وتتضح الصّورة بذكر أشكال المدّ، وهي:

أ- المدّ الذي سببه الهمز، ويشمل ما يلي:

- مدّ البدل: والذي يكون من اجتماع همزتين الأولى متحركة، والثانية ساكنة فتبدل الثانية حرف مدّ من جنس حركة ما قبلها، كما في قوله تعالى: ﴿آتَى﴾ [البقرة، 177] وقوله تعالى: ﴿أوتوا﴾ [البقرة، 101]، وقوله تعالى: ﴿إيتاء﴾ [الأنبياء، 73] التي أصلها (أتى)، (أوتوا)، (إئتاء)؛

- المدّ الواجب المتصل: وهو الناتج من مجيء المدّ وبعده همز في كلمة واحدة سواء أكان الهمز بعد حرف المدّ في وسط الكلمة مثل: ﴿الملائكة﴾ أم متطرفاً كما في: ﴿النسيء﴾. وعندها يمدّ حرف المدّ أربع، أو خمس حركات، ومدّه أربع حركات هو المقدم في الأداء، وإذا كان متطرفاً مدّ بمقدار أربع، أو خمس، أو ست حركات.

ب- المدّ الذي سببه السكون، فيتنوع بحسب نوع السكون.
- المدّ اللازم: إذا كان السكون لازماً؛ أي: أصلياً في الكلمة، أو الحروف المقطعة في أوائل السور، وهو نوعان:

- مدّ مثقل: كمد الألف في قوله تعالى: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة، 07]، ومدّ الألف التي في اللام في قوله: ﴿أَلَمْ﴾ [البقرة، 01]، وسي مثقلاً لوقوع التشديد بعده؛
- مدّ مخفف: كمدّ الألف في قوله تعالى: ﴿الآن﴾ [يونس، 91]، أو مدّ ياء الميم في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ﴾ [البقرة، 01]، ويمدّ في ما سبق حرف المد بمقدار ست حركات؛

- المدّ العارض: وهو المدّ بسبب سكون عارض بعد حرف المدّ، وهو ينقسم إلى أربعة أقسام، بحسب أصل حرف المدّ الذي قبله، فقد يكون أصله مدّاً طبيعياً، كقوله تعالى: ﴿نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة، 05]، وقد يكون أصله مدّ لين، كقوله تعالى: ﴿سَيِّئٌ﴾ [البقرة، 20]، وقد يكون أصله مدّ بدل، كقوله تعالى: ﴿رُؤُوفٌ﴾ [التوبة، 128]، وقد يكون أصله مدّاً واجباً، مثل: الذي تطرفت همزته، نحو قوله تعالى: ﴿جَاءَ﴾ [هود، 76]، وهنا يمدّ حرف المدّ بمقدار حركتين، أو أربع، أو ست حركات، في الأقسام الثلاثة الأولى، وفي القسم الأخير بمقدار أربع، أو خمس، أو ست حركات.

وليس الغرض من ذكر أحكام المدود المتعلقة باللفظة الواحدة هنا سوى تبيان كيفية معالجة المدود للثقل الناتج عن التّقاء حروف المدّ بالهمزة، أو السكون، وقد ذكرت أنّ المدّ هو بمثابة حركة تضاف إلى حركة الحرف الأصليّة، وهو كمعالجة الحركات لثقل حروف الكلمة.

ونظراً لأهميّة حركات الحروف عدّ علماء التّجويد الإخلال بحركات الكلمة سواء أكان ذلك في أولها، أم وسطها، أم آخرها من اللحن الجليّ المحرم شرعاً سواء ترتب على ذلك تغيّر المعنى كفتح تاء (قلت) في قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح، 10] أم لم يتغير المعنى ككسر التّون في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [5: الفاتحة]، كما أنّهم عدوا الإخلال بأحكام التّجويد من اللحن الخفي كذلك بل قيل إنّهُ حرام كاللحن الجلي، لأنّه يخل بالأداء الصّحيح للفظ القرآني.

ربّما: ملائمة اللفظ لنوع الكلام: من ركائز التّآلف في الكلمة مناسبتها لنوع الكلام، "فالبغدادي" يرى أنّ «المقال يجب أن يكون مناسباً للمقام، فهو ينصح الشاعر بأنّ

يتلطف إذا تغزل، ويفخم إذا افتخر»²⁷، ولكن هذا الكلام قد يبدو غير واضح أو محدد؛ فمن أي جهة يكون التلطف بالكلام، أو التفخيم، أم من جهة المعنى؟، فلا تكون له علاقة بموضوع البحث هنا، أم من جهة اللفظ؟، أم من جهتهما؟، ولعل المقصود من ائتلاف اللفظ مع المعنى أن يكون الكلام جزلاً إذا كان المعنى فخماً، ورفيقاً إذا كان المعنى رقيقاً، وغريباً إذا كان المعنى غريباً بحثاً، ومستعملاً إذا كان المعنى مولداً محدثاً.

وهذا يعني اختيار الكلمة ذات الصوت المناسب لنوع الكلام، وخير مثال على ذلك الألفاظ التي استخدمت في الآيات المكيّة، فهي ألفاظ جزلة، وقويّة، وذات إيقاع شديد، جاءت لتناسب موضوع الكلام الذي كان فيه التّقرّيع، والتّبكيّات للكفار.

فكلمة ﴿كَلَّا﴾ لم ترد إلا في الآيات المكيّة لملاءمتها للردع، والزّجر، وهناك ألفاظ كانت قوارع مزمجرة، كأنّما هي الرّعد القاصف إذ كانت الآيات المكيّة تتحدث عن الوعيد، وأمّا إن كانت وعداً فهي عذبة سلسلة، ومثال ذلك يتضح بتدبر "سورة الحاقة" و"سورة الغاشية"، و"سورة المرسلات"، و"سورة الإنسان"، التي نجد فيها ما تقشعر له الجلود، ويثلج الصّدر.

خامساً: ألفة استعمال اللفظ: إنّ ألفة استعمال الألفاظ في القرآن الكريم يجعلها أسهل جرياً على اللسان، لكثرة ما تُطَقُّ بها، وأعذب على الأذان لتكرار سماعها، ولذا اشترط "البغدادي" في الألفاظ حتى تكون فصيحة الخلو من البشاعة، «فلا يكون اللفظ متوعراً وحشياً، ولا ساقطاً عامياً»²⁸.

ويذكر "ابن الأثير" سرّاً فصاحة اللفظ فيقول: «ثبت أنّ الفصيح من الألفاظ هو الظاهر البين، وإنّما كان ظاهراً بيناً لأنّه مألوف الاستعمال، وإنّما كان مألوف الاستعمال لمكان حسنه، وحسنه مدرك بالسّمع، والذي يدرك بالسّمع إنّما هو اللفظ لأنّه صوت يأتلف عن مخارج الحروف، فما استلذه السّمع منه فهو الحسن»²⁹ ويذكر على ذلك أمثلة فيقول: «فإنّه لا خلاف في أنّ لفظة "المزنة" و"الدّيمة" حسنة يستلذه السّمع، وأنّ لفظة "البعاق" قبيحة يكرهها السّمع، وهذه اللفظات الثلاث من صفة المطر، وهي تدل على معنى واحد، ومع هذا فإنّك ترى لفظي "المزنة"، و"الدّيمة" وما جرى مجراهما مألوفة الاستعمال، وترى لفظ "البعاق" وما جرى مجراه متروكاً لا يستعمل»³⁰، وقد ذكر "القلقشندي" أمثلة على ذلك: «كلمة "اطلخم" في قول "أبي تمام":

قَدْ قُلْتُ لَمَّا اِطْلَحَمَ الْأَمْرُ وَانْبَعَثَتْ * عَشَوَاءُ تَالِيَّةٌ غُبْسًا دَهَارِسًا
فإن لفظه "اطلخم" من الألفاظ المنكرة التي جمعت الوصفين القبيحين من أنها
غريبة، وأنها غليظة في السمع كريهة على الذوق، وكذلك لفظه "دهارس" في آخر البيت
المذكور، وعلى حد ذلك ورد لفظ جيدر في قوله من أبيات في وصف فرس:
نِعَمَ مَتَاعُ الدُّنْيَا حَبَاكَ بِهِ * أَرَوْعُ لَا جِيْدَرٌ وَلَا جِيْبَسُ
لفظه "جيدر" وحشيّة غليظة، وأغلظ منها لفظة "جفخت" في قول "أبي الطيّب
المتنبي":

جَفَخْتُ وَهَمَ لَا يَجْفَخُونَ بِهَا * بِهِمْ شِيَمَ عَلَى الْحَسَبِ الْأَعْرِدَانِ
فإن لفظه "جفخ" مرة الطعم، وإذا مرت على السمع اقشعر منها، وكان له مندوحة
عن استعمالها فإن جفخت بمعنى فخرت، وهما في وزن واحد فلو أتى بلفظ فخرت
ويفخرون مكان جفخت، ويجفخون لاستقام وزن البيت، وحظي في استعماله
بالأحسن»³¹.

ونبه "ابن الأثير" إلى أنّ الكاتب إذا ما أراد أن يكتب فلا بد له من ثلاثة أمور وذكر
منها اختيار الألفاظ المفردة، وحكم ذلك عنده حكم اللآلئ المبددة، فإنّها تتخير وتنتقى
قبل النّظم، لكنّ ألفة الاستعمال قد يستبعد من الشّروط، ويغتفر، إذا ما كان اللفظ
مستعذباً.

6. العدول الصّوتي في القرآن الكريم: يهدف العدول اللغوي إلى تحقيق نوع من
الجمال الفني، وعلم المعاني، مثلاً: ببيح خروج الكلام عن أصل وضعه، فأبوابه تقوم
أساساً على العدول على مستوى الاستخدام المألوف، ويمكن تصنيف الألفاظ بحسب
طريقة عدولها كالآتي:

أ- الإعلال: وهو قلب حرف العلة، أو حذفه، أو تسكينه، أو نقله.

الإعلال بالقلب: ويتجلى بقلب حرف العلة، ومعروف أنّ الألف لا تكون أصلاً في
الأسماء المتمكنة، والأفعال، وهي إما تكون منقلبة عن ياء، أو واو، كما لا تقع أولاً، وإنّما
تقع حشواً، أو طرفاً، وإذا كان معها حرفان في الكلمة فلا نحكم عليها بأنّها زائدة، وإنّما
نحكم عليها بأنّها منقلبة عن واو، أو عن ياء.
والإعلال يتناول أحرف المد، والحركات القصيرة.

قلب الواو والياء ألفا: ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾
[الصّافات، 08] الأعلى، لأنّ حركتها أصليّة، وما قبلها مفتوح، علا.

الإعلال بالحذف: قد يحذف مثلا حرف العلة لغير جازم، إمّا لقصد التّخفيف، أو لرعاية الفواصل، وهذا وُجد في القرآن في مواضع، من ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا﴾ [الكهف، 24] أصلها «نبيغي».

الإعلال بالنقل: وهو نقل الحركة إلى صوت صامت ساكن، ومن ذلك "أَعُوذُ" التي أصلها "أَعُوذُ" حيث نقلت حركة الواو إلى العين لصعوبة نطق الضّمة مع الواو.

ومن الإعلال بالنقل ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصّافات، 36]؛ "يقولون": وقد نقلت الحركة من الواو إلى القاف، وذلك لصعوبة نطق الضّمة مع الواو.

ب- الإبدال: يعتبر الإبدال من التّغيرات الصّوتيّة في اللغة، وهو تغيير حرف بحرف، حيث يزال المبدل منه، ويوضع المبدل مكانه، وهو يشبه الإعلال من حيث أنّ كلا منهما تغيير في الموضع، لكن الإعلال خاص بأحرف العلة والإبدال خاص بالأحرف الصّحيحة. و"رأى ابن يعيش": «أنّ حروف البديل من غير إدغام أحد عشر حرفا، فيها من حروف الزّيادة ثمانية وهي: الألف، والياء، والواو، والهمزة، والتّون، والميم، والتّاء، والهاء، وثلاثة من غيرها، وهي الطّاء، والدّال، والجيم»³²، ومن مظاهر العدول الصّوتي عن طريق الإبدال قوله تعالى: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [الغاشيّة، 22] ومما يلاحظ هنا من خلال إبدال السّين صادًا هي طبيعة الصّوت المفخم، والموقف الذي تدل عليه الآية، فالخطاب هنا لرسول الله "صلّى الله عليه وسلّم": أي: لست عليهم بمسلّط، ولا أنت بجبار تحملهم على ما تريد. يقول: كلّهم إليّ، ودعهم، وحكي فيهم.

ج- الإدغام: هو تقريب صوت من صوت، ولا يكون إلّا في مثلين متقاربين ولذا يسعى بالتّشابه، أو التّمائل، وهو عند "سيبويه" «تقريب حرف من حرف بهدف السّهولة، والخفة»³³، ولعلّ هذا هو ذاته رأي "ابن يعيش": إذ يرى أنّ «الغرض من الإدغام طلب التّخفيف، لأنّه ثقل عليهم التّكرير، فيضعون السّنهم على مخرج الحرف المكرر وضعة واحدة، ويرفعونها بالحرفين رفعة واحدة لئلا ينطقوا بالحرف ثم يعودوا إليه»³⁴؛

فالمهدف إذن من الإدغام توفير الجهد، والزّمن خلال النّطق، ويمكن القول أنّ الإدغام ثلاثة أنواع:

1- إدغام في كلمة واحدة؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَاْنُوا يَقُولُونَ اِنِّدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَّعِظَامًا اِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الواقعة، 47]، كننا، إنّنا (إدغام التّون).

2- إدغام بين حرفين متماثلين متجاورين من كلمتين متجاورتين شرط أن تنتهي الكلمة الأولى بصوت ساكن، وتبدأ الكلمة الثّانية بصوت مماثل متحرك، فيرتفع اللسان رفعة واحدة مع توفير الجهد، والزّمن؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الصّافات، 29]، (إدغام اللام).

3- إدغام بين حرفين متقاربين متجاورين، ومن كلمتين متجاورتين، وهو ما يسمى بالإدغام المتجانس في علم التّجويد؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اِنْ هَذَا اِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصّافات، 15].

د- الإمالة: لغة: العدول إلى الشّيء، والإقبال عليه وكذلك الميلان³⁵، والإمالة مشتقة من الميل؛ وهي مصدر أملت الشّيء إمالة.

والمراد بالإمالة ميل الحركة إلى حركة أخرى، وميل الحرف إلى حرف آخر والإمالة لغة بعض القبائل العربيّة، وهي "لغة تميم"، و"أسد"، و"قيس"، والأصل فيها حديث خُذِيفَةَ بِنِ الْيَمَانِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اقْرَءُوا الْقُرْآنَ بِلُحُونِ الْعَرَبِ، وَأَصْوَاتِهَا)³⁶.

وإمالة أن تمال الفتحة لكي تكون قريبة من الكسرة، وأن يمال الألف نحو الباء وذلك لأسباب تتعلّق باللفظ نفسه من حيث تجاوز الألفاظ، أو من حيث الإشعار بأصل الكلمة، والغاية من الإمالة تيسير النّطق، فالفتح يحتاج إلى فتح الفم، وإمالة تخفف من صعوبة النّطق بالفتح في بعض الحالات، فالألف المنقلبة عن ياء تمال في بعض القراءات كالمهدى، والفتى، والعى، ويخشى، ويرضى، ومأوى، وأدنى وأذكى، وأمال بعض القراء كل ألف بعد راء متطرفة مجرورة نحو الدّار، والنّار والقهار، وهكذا في كثير من الألفاظ، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا﴾ [فصلت، 12]؛ "الدّنيا" عند القراءة تمال الألف نحو الباء.

هـ- العدول الصوتي بالحذف والزيادة: الحذف والزيادة في أبنية الكلمات شكل من أشكال العدول الصوتي في القرآن الكريم، قصد تحقيق أغراض جمالية، ودلالية. أما الحذف فقد تحذف من أبنية الكلمات أصوات في مواضع محدّدة من القرآن الكريم، وقد يكون الغرض من هذا الحذف مناسبة الفاصلة، وقد يكون لسبب جمالي أو دلالي، ومن أمثلة هذا الحذف ما جاء في "سورة الفجر" حيث يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَّ﴾ [الفجر، 04].

أما الزيادة فتزداد أحيانا أصوات في بعض المواضع من القرآن الكريم، وذلك قصد تحقيق أغراض جمالية، ومثل ذلك زيادة هاء السكت في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ تَأْرُ حَامِيَةٍ﴾ [القارعة، 05-11]؛ نلاحظ زيادة هاء السكت في فواصل الآيات. ومن العدول الصوتي أيضا الإظهار، الإخفاء، والإقلاب، والمد والقصر.

7. مظاهر العدول الصوتي للفاصلة القرآنية: الفواصل القرآنية مظهر من مظاهر إعجاز القرآن الكريم، وأثر من آثار نظمها، ووصفه، ويبرز ذلك، ويتجلى في التناسق، والتناغم الصوتي المذهل، وفي ذلك الإيقاع اللغوي الأسر، الذي برّ كل أساليب أساطين البيان، وجعلهم حيارى لا مرام لهم لا مطمع في أن يقاربوا، أو يدانوا بيان القرآن الكريم، ونظمه، ولغته.

لعلّ من أبرز الخصائص المميزة للقرآن الكريم وقعه الموسيقي الذي تحدّثه فواصله برويتها، يشهد بذلك أرباب البيان حتّى من غير المؤمنين³⁷، غير أنّ هذا الإيقاع في الفواصل غير مطرد في جميع آية القرآن الكريم، يقول "أبو عمرو الداني": «وقد تجيئ آية سور القرآن مبنية على ضرب من التشاكل متّفق غير مختلف، وقد تجيئ على ضربين مختلفين، وعلى ضرب مختلف، وقد يختلط ذلك التشاكل بعضه ببعض، ويتقدّم، ويتأخر في السورة الواحدة، وفي السور الكثيرة، وتقع بين ذلك فواصل نوادر، وذلك من الإعجاز المخصوص به القرآن الذي أخرج الفصحاء، والبلغاء وأعجز الألباء، والفقهاء»³⁸.

ومن ذلك أنّ فواصل القرآن «لم تلتزم حرف الزوي التّزام الشّعور والسّجع ولم تهمله إهمال التّثّر المرسل، بل كانت لها صبغ دائما صبغتها المتميّزة في الالتّزام والتحرّر من

الالتزام، فهناك الفواصل المتماثلة، والمتقاربة، والمنفردة³⁹، ويمكن أن تتجسد مظاهر هذا العدول في الفاصلة على مستوى السور حسب المواضع أن تتردد نفس القصة القرآنية في أكثر من سورة بفواصل تختلف عن ورودها في سورة، أو سور أخرى، يقول "السيد خضر": «الفاصلة عنصر أساسي من عناصر التصوير باللوحة القرآنية، حيث إنّ اللوحة تتبع كلّ آياتها تقريبا فاصلة واحدة، أو فواصل متقاربة الإيقاع، حتّى إذا تمت اللوحة، وبدأت لوحة جديدة، أو موضوع جديد من موضوعات السورة تغيرت الفاصلة، وهي بذلك تدخل عنصرا أساسيا من عناصر تكوين اللوحة القرآنية»⁴⁰.

يقول "الباقلائي": «إنّ إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحدا من الأمر الصعب الذي تظهر به الفصاحة، وتبين به البلاغة، وأعيد كثير من القصص في مواضع كثيرة مختلفة على ترتيبات متفاوتة، ونهوا ذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ به، ومكررا، فعلى هذا يكون المقصد بتقديم بعض الكلمات وتأخيرها إظهار الإعجاز على الطريقتين جميعا دون السجع توهموه»⁴¹، فتنوع الفواصل القرآنية له غايات، ودلالات قد يدرك الباحث بعضها، وقد لا يدرك، وعدم الإدراك لا يعني مطلقا عدم وجودها، فما من حركة، ولا صوت، ولا حرف، ولا كلمة ولا أدق من ذلك، أو أعقد في كتاب الله إلّا وله دلالة لا يقوم مقامها غيره، ومن دلالة العدول على مستوى السلاسل الإيقاعية علاقة كلّ سلسلة بموضوع محدد، يخالف بوجه من الأوجه موضوع السلسلة الثانية، فمثلا "سورة الضحى" بها ثلاث لوحات، أو ثلاث سلاسل إيقاعية مع ثلاثة مواضع، وهي:

الموضوع الأول: "الطمأنة"، والتبشير" الآيات من (1 إلى 8) وحرفها (ى).

الموضوع الثاني: "النهي": قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾

[الضحى، 09-10].

الموضوع الثالث: "الأمر": قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى، 11].

7. خاتمة: وفي الأخير نخلص إلى النتائج الآتية:

- للعدول الصوتي أثر جمالي، ودلالي، حيث تتظافر فيه المستويات: الصوتي والصرفي، والنحوي، والمعجمي في وقت واحد، قصد تصوير المواقف في أسلوب محكم دقيق، إنّ

هذه المعاني يدركها السَّمْع قبل أن يدركها العقل، لأنها تنطبع أولاً في النَّفس، فتؤثر على الشَّعور، والوجدان، ثم ترتفع بعد ذلك إلى مستوى العقل، والإدراك:

- للصوت اللغوي أهمية في دراسة النص القرآني، من حيث إنّه البنية اللغوية الصَّغرى المكونة للكلمات والتراكيب، والآيات فهو عنصر أساس في الإعجاز القرآني، فالقرآن ينتقي الأصوات بحسب الدلالات قصد تجسيد المعاني في أحسن صورة؛

- يعدّ العدول الصَّوتي أحد الأساليب الجمالية التي يعتمدها الخطاب القرآني وهو أداة غايته جذب الأسماع من خلال خرق قوانين اللغة المثالية قصد تفجير الطاقات الإبداعية، فترتفع الرتبة، وتنهض النفوس، من غفلتها؛

- إنّ الكلمة القرآنية مختارة، ومنتقاة، فهي متألّفة صوتياً بطبيعتها، وذلك يعود إلى تلاؤم مخارج حروفها، وقلة عدد حروفها، وتناسق حركات الحروف فيها وملاءمتها لنوع الكلام، وألفة استعمالها، وما شدّ منها عن القاعدة، وخصوصاً من ناحية تلاؤم المخارج عولج بما هو مقرّر في أحكام التَّجويد؛

- تنشأ دلالة الصَّوت بداية من التراكيب، وقد اتسم الصَّوت القرآني بقوة التأثير انطلاقاً من سهولة الأصوات حين اثتلافها، وإحساس الأذن بعذوبتها حين الترنم والتطريب؛

- ارتباط الفاصلة القرآنية بمعاني التَّركيب، والآيات، فلم يقتصر على رعاية حسن النّظم فحسب، وإنّما اهتم مع ذلك، وقبله بالمعنى؛

- إنّ الحفاظ على صوت الحرف من خلال الاهتمام بمخرجه، وصفته، المؤدّي إلى تمايزه عن غيره من الحروف، هو الرّكيزة الأساسية في موضوع التّألف الصَّوتي فالتّباس الحروف ببعضها، واختلاطها صوتياً يؤدّي إلى تقويض نظام التّألف الصَّوتي، ولأهمية هذا الأمر أُشير إليه في القرآن، واهتم علماء الصَّوتيات، والتَّجويد بضبطه؛

- إنّ الجملة القرآنية ركبت تركيباً صوتياً مميزاً، فتركيبها في الغالب يتألف فيه صوت الحرف الأخير في كل كلمة مع صوت الحرف الأوّل الكلمة التّالية، وتناسق مجمل كلماتها بعضها بعضاً، وتناسق حركات حروفها، وختمت بإيقاع جميل لفاصلتها، وما خرج من تركيبها عن هذا النّمط عدلّ بما قرر في أحكام التّلاوة، فأدى ذلك كلّهُ إلى سهولة النّطق به على اللسان، وصدور صوت جميل عذب الوقع على الأذان.

8. مصادر البحث ومراجعته:

- 01- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، مصر.
- 02- البغدادي، السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة مصر ط 02، 1400 هج، 1980 م.
- 03- الباقلاني، إعجاز القرآن، تح: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 01، 2001 م.
- 04- الرّماني، النكت في إعجاز القرآن- ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن- تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 03 1387 هج، 1968 م.
- 05- الزبيدي تاج العروس، تح: إبراهيم التّززي، دار التّراث العربي، الكويت، ط 01 1421 هج، 2000 م.
- 06- ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01 1402 هج، 1982 م.
- 07- سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت لبنان.
- 08- السيد خضر، فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية دلالية، مكتبة الآداب القاهرة مصر ط 01، 2009 م.
- 09- سيد قطب، في ظلال القرآن، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة مصر 1977 م.
- 10- سيد قطب، النّقد الأدبي أصوله ومناهجه، النّقد الأدبي أصوله ومناهجه دار الشروق القاهرة، مصر.
- 11- السيوطي، إيتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الأوقاف السعودية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- 12- السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تح: محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون دار التراث، القاهرة، مصر.
- 13- السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح: محمد عبد الرحيم، دار الفكر بيروت لبنان، ط 01.

- 14- الطبراني، المعجم الأوسط، تح: طارق بن عوض ومحسن الحسيني، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1415 هـ، 1995 م.
- 15- عبد الوهاب بن محمد القرطبي، الموضح في التجويد، تح: غانم قدوري الحمد دار عمار، عمان، الأردن، ط. 01.
- 16- أبو عمرو الداني، البيان في عدّ آي القرآن، تح: غانم قدوري الحمد، مركز التراث والمخطوطات والوثائق، بيروت، لبنان، ط. 01، 1994 م.
- 17- أبو عمرو الداني، التّحديد في الإتقان والتّجويد، تح: غانم قدوري الحمد دار عمار عمان، الأردن، ط. 01، 1421 هـ، 2000 م.
- 18- أبو الفتح الشهرستاني، الملل والنحل، تح: أحمد فهمي محمّد، دار الكتب العلميّة بيروت، لبنان، ط. 02، 1413 هـ، 1992 م.
- 19- الفلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تح: يوسف علي طويل، دار الفكر دمشق، سوريا، ط. 01، 1987 م.
- 20- ابن كثير، البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التّركي، دار هجر للطباعة والنشر والتّوزيع والإعلان، الجيزة، مصر، ط. 01، 1418 هـ، 1997 م.
- 21- محمّد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، دار عمّار، عمان، الأردن، ط. 02، 2000 م.
- 22- مصطفى صادق الرّافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط. 01.
- 23- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- 24- مهدي صالح السّامرائي، تأثير الفكر الديني في البلاغة العربيّة، المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا، ط. 01، 1397 هـ، 1977 م.
- 25- نذير حمدان، الظّاهرة الجماليّة في القرآن الكريم، دار المنابر، جدة، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1412 هـ، ط. 01، 1991 م.
- 26- ابن يعيش، شرح التّصريف الملوكي، تح: فخر الدّين قباوة، المكتبة العربيّة حلب سوريا ط. 1، 1973 م.
- 27- ابن يعيش، شرح المفصل، تصحيح وتعليق: مشيخة الأزهر، إدارة المطبعة المنيريّة القاهرة، مصر.

9. هوامش البحث:

- 1- نذير حمدان، الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، دار المنابر، جدة، المملكة العربية السعودية، ط 01، 1412 هـ، 1991 م، ص: 06، 07.
- 2- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، ص 134.
- 3- السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تج: محمد عبد الرحيم، دار الفكر بيروت لبنان، ط 01، ج 01، ص 168.
- 4- ولعل من الأمثلة في هذا الباب "الوليد بن المغيرة المخزومي"؛ والذي كان من أشد كفار قريش عنادًا، وإصرارًا على الكفر: فعن ابن عباسٍ "رضي الله عنهما"، أن "الوليد بن المغيرة" جاء إلى النبي "صلى الله عليه وسلم" فقرأ عليه القرآن، فكأنه رقى له قبل ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يزؤون أن يجمعوا لك مالا، قال: لم؟ قال: ليُعطوكه فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قبله قال: قد علمت قرئت أني من أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكبر له، أو أنك كاره له قال: وماذا أقول فو الله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزٍ، ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا والله إن لقوله الذي يقول خلوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أغلدة مغيث أسفله، وإنه ليغلو، وما يغلى، وإنه ليخطم ما تحته، ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، تج: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة مصر، ط 01 1418 هـ 1997 م، ج 03، ص 61.
- 5- أبو الفتح الشهرستاني، الملل والنحل، تج: أحمد فهد محمد، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 02، 1413 هـ، 1992 م، ج 02، ص 197.
- 6- الرماني، التكت في إعجاز القرآن- ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن-، تج: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 03، 1387 هـ، 1968 م، ص 75.
- 7- نفسه، ص 97.
- 8- الباقلائي، إعجاز القرآن، تج: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 01، 2001 م، ص 36.
- 9- نفسه، ص 37.
- 10- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 151.
- 11- مهدي صالح السامرائي، تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية، المكتب الإسلامي دمشق، سوريا، ط 01، 1397 هـ، 1977 م، ص 266.
- 12- سيد قطب، في ظلال القرآن، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1977 م، ج 06، ص 3399.
- 13- سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق القاهرة، مصر، ص 41.
- 14- الزبيدي تاج العروس، تج إبراهيم التريزي، دار التراث العربي، الكويت، ط 01 1421 هـ، 2000 م، ج 33، ص 369، مادة "كلم".

- 15- الرّماني، التكت في إعجاز القرآن، ص 94.
- 16- ينظر: ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01 1402 هـ، 1982 م، ص 93.
- 17- نفسه، ص 102.
- 18- السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تح: محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون دار التراث، القاهرة، مصر، ج 01، ص 198.
- 19- الفلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تح: يوسف علي طویل، دار الفكر دمشق، سوريا، ط 01، 1987 م، ج 02، ص 275.
- 20- عبد الوهاب بن محمد القرطبي، الموضح في التجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، الأردن، ط 01، ص 140.
- 21- أبو عمرو الداني، التحديد في الإتقان والتجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار عمان، الأردن، ط 01، 1421 هـ، 2000 م، ص 117.
- 22- ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص 88.
- 23- يقصد "الرافعي" بالمقطع ما يوازي الكلمة، فقد قال قبلها (كأنها أربع كلمات)، وليس المقطع الصوتي المعروف، فكلمة (لَيْسَتْخَلِفَتْهُمْ) حسب التقطيع الصوتي مكونة من سبعة مقاطع، وكذلك كلمة (نُلْزِمُكُمُوهَا)، وكلمة (فَسَيَكْفِيكُمْ) مكونة من ستة مقاطع.
- 24- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 228.
- 25- نفسه، ص 229.
- 26- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الأوقاف السعودية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ج 02، ص 132.
- 27- البغدادي، السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 02، 1400 هـ، 1980 م، ص 113.
- 28- نفسه، ص 115.
- 29- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، مصر، ج 01، ص 67.
- 30- نفسه، ج 01، ص 67.
- 31- ينظر: الفلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج 02، ص 237.
- 32- ابن يعيش، شرح التصريف الملوكي، تح: فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب سوريا ط 01، 1973 م، ص 213.
- 33- سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ج 04 ص 437.
- 34- ابن يعيش، شرح المفصل، تصحيح وتعليق: مشيخة الأزهر، إدارة المطبعة المنيرية القاهرة، مصر، ج 10، ص 121.
- 35- ابن منظور، لسان العرب، ج 14، ص 636، مادة "ميل".

- 36- الطبراني، المعجم الأوسط، تح: طارق بن عوض ومحسن الحسني، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1415 هـ، 1995 م، ج 07، ح 7223.
- 37- ومنها شهادة "الوليد بن المغيرة المخزومي" والتي ورد ذكرها، وشهادة "النضر بن الحارث بن كلدة" الذي قال: يا معشر قريش، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد قد كان "محمد" -صلى الله عليه وسلم- فيكم غلاماً حدثاً أراضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانةً، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم به قلتم: ساحر! لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة، ونفثهم، وعقدهم، وقلتم: كاهن! لا والله ما هو بكاهن قد رأينا الكهنة، وتخالجهم، وسمعنا سجعهم، وقلتم: شاعر! لا والله ما هو بشاعر، قد رأينا الشعر، وسمعنا أصنافه كلها، هزجه، ورجزه، وقلتم: مجنون! لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه، ولا وسوسته، ولا تخليطه، قال: يا معشر قريش، فانظروا في شأنكم فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم. ومن ذلك أيضاً شهادة "عتبة بن ربيعة"، و"أنيس بن جنادة" وغيرهم.
- 38- أبو عمرو الداني، البيان في عدّ أي القرآن، تح: غانم قدوري الحمد، مركز التراث والمخطوطات والوثائق، بيروت، لبنان، ط 01، 1994 م، ص 111.
- 39- محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، دار عمار، عمان، الأردن، ط 02، 2000 م ص 145.
- 40- السيد خضر، فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية دلالية، مكتبة الآداب، القاهرة مصر، ط 01، 2009 م، ص 152.
- 41- الباقلائي، إعجاز القرآن، ص 61، 62.